

Al-Zaytouna Centre  
for Studies & Consultations



مركز الزيتونة  
للدراسات والاستشارات

On-Day Seminar

حلقة نقاش

**The Issue of Palestine**

**قضية فلسطين**

Strategic Evaluation 2013- Strategic Assessment 2014

تقييم استراتيجي 2013 - تقدير استراتيجي 2014

مداخلة

مصر والقضية الفلسطينية:

التطورات والمسارات المحتملة

د. عبد الله الأشعل



Ramada Plaza - Beirut - Lebanon  
January 16th, 2014

فندق رامادا- بيروت - لبنان  
16 كانون الثاني/ يناير 2014

## مصر والقضية الفلسطينية: التطورات والمسارات المحتملة

د. عبد الله الأشعل\*

### مقدمة:

الموقف المصري من القضية هو أحد أهم محددات وضع القضية الفلسطينية منذ نشأتها سنة 1948 على الأقل. فإذا أضفنا إليه الموقف الإيراني واحتمالاته، ومستقبل الأزمة السورية، شكلت العوامل الثلاثة أركان المعادلة الخارجية، بسبب اتصال هذه العوامل بطرفي الساحة الفلسطينية، و"إسرائيل". وهذه الورقة تركز على الموقف المصري واحتمالاته في سنة 2014، بمقدمة عن القضية في عهد مبارك حتى ثورة يناير، ثم المجلس العسكري، ثم حكم مرسى، وأخيراً منذ سقوطه في 3 يوليو 2013 حتى الآن واحتمالات المستقبل.

### أولاً: القضية الفلسطينية في عهد مبارك حتى 2011:

في ظلّ نظام مبارك الذي ظهرت خلاله حركة حماس ثمّ دخلت السياسة بانتخابات 2006، وشهدت القضية الفلسطينية بما فيها القدس تحولات وأزمات وتراجعات، وكان الإخوان المسلمون قد دخلوا مجلس الشعب في انتخابات 2005، وكان نجاح حماس في انتخابات 2006 متفاعلاً مع نجاح الإخوان، مما يعتقد أنه دفع مبارك إلى الربط المباشر بين الإخوان وحماس، ولذلك انعكس هذا الربط على كافة المواقف المصرية من تطورات القضية، وأهمها ملفات علاقة مصر بغزة (الأنفاق، معبر رفح، العدوان الإسرائيلي على غزة، المصالحة، العلاقة مع "إسرائيل" والسلطة).

عدّ مبارك أن نجاح حماس 2006 نذير شؤم على الساحة المصرية؛ بسبب هواجسه تجاه الإخوان المسلمين، خاصة وأن هذه الانتخابات أحدثت شقاً مع فتح والسلطة، وفرضت على مبارك موقفاً داعماً للسلطة ضدّ حماس، ثمّ تفاقم الموقف بعد سيطرة حماس على غزة سنة 2007. ولذلك لا يستبعد كثير من

---

\* الدكتور عبد الله الأشعل، نائب وزير الخارجية المصري الأسبق، والمرشح الرئاسي المصري السابق، والأمين العام السابق للمجلس القومي لحقوق الإنسان، وأستاذ القانون الدولي والعلوم السياسية، ومحامٍ ومحكم دولي.

المراقبين أن يكون تتاغم مبارك مع "إسرائيل" والسلطة قد ساعد "إسرائيل" على التفكير في عدوان 2008-2009، ومناهضة أي مقاومة في فلسطين ولبنان ضدّ "إسرائيل" حليفه الاستراتيجي، والذي لقبه بن اليعازر بأنه كنز "إسرائيل" الاستراتيجي، حيث بارك عدوان "إسرائيل" على لبنان في صيف 2006، وانتقد حزب الله وإيران وانسجم موقفه مع مواقف الأطراف اللبنانية المناهضة لحزب الله.

وطبيعي أن يكون مبارك منحازاً إلى "إسرائيل" فأغلق معبر رفح، وتلاعب في مواعيد فتحه، وتعاون مع "إسرائيل" في مراقبة العناصر المارة فيه، ثمّ ظهرت اتهامات له بمساندة "إسرائيل" في عدوان 2008-2009، وكان واضحاً أن مبارك يتفق مع مخطط القضاء على حماس كمنظمة للإخوان في غزة، فهي جزء من عدائه ومطاردته للإخوان، وقبوله مرغماً بهامش من مشاركتهم المحدودة في حياة سياسية أحكم قبضته عليها وعلى أدواتها.

لكن العامل الحاسم في هذا الموقف الرسمي المصري هو أن الشعب المصري بأكمله كان متعاطفاً مع الفلسطينيين دون تمييز، وكانت صورة حماس هي صورة البطل المقاوم للعدوان ضدّ العدو الأبدى للمصريين، ولذلك أخرج هذا الموقف الشعبي نظام مبارك وإعلامه الذي فشل في تبرير موقفه الداعم للقهر الإسرائيلي لسكان غزة في محرقته 2008-2009، كما أصّر مبارك على إغلاق المعبر بحجة حماية سيناء من الفلسطينيين، واشترط لفتحه أن تتسلمه السلطة وليس حماس، وقد سجلنا ذلك في تقاريرنا المنشورة ودراساتنا حول المركز القانوني لمعبر رفح.

وترتب على ذلك أن ثورة 25 يناير ضدّ مبارك ونظامه، ومواقفه، وتحالفاته مع واشنطن و"إسرائيل"، ومعسكر الاعتدال العربي كان انتصاراً لكل الأطراف المتضررة من مبارك، أي أن هذه الثورة أطلقت طاقات المصريين نحو الحرية لهم والحرية لغيرهم خاصة الشعب الفلسطيني، كما كانت الثورة كسباً كبيراً لمعسكر المقاومة وإيران وهزيمة كبرى لـ"إسرائيل" التي سعت لتحويل الربيع العربي إلى مأتم عربي، وبدلاً من أن يسهم الربيع في الحرية، والتحرير، والازدهار، أسهمت "إسرائيل" في تحويله إلى نار تلتهم الشعوب والأوطان، وأن تستعيد قوى الثورة المضادة قدرات النظم الحليفة لـ"إسرائيل" بأكبر قدر من الانتقام والتنكيل.

## ثانياً: مرحلة الثورة والمجلس العسكري:

ارتفعت آمال الفلسطينيين بالثورة، وأن يكون تحرر مصر من طاغيتهام مدخلاً إلى تحرير القدس، فاتخذ المجلس العسكري سياسات حذرة، لكن أقرب إلى تغذية هذا الأمل، دون أن يتخذ موقفاً في كل ملفات القضية، بل تجمد التعاون الأمني النشط سابقاً مع "إسرائيل" بسقوط رموز النظام المتعاون مع "إسرائيل"، وظهرت في هذه المرحلة أفكار طموحة تبشر بالدمج الاقتصادي والتجاري بين غزة ومصر، ولم تجد السلطة الفلسطينية مفرّاً من السكون، وعدم التحريض على حماس عند الحكم الانتقالي الذي لمس الشعور الشعبي الكاسح الداعم للفلسطينيين، خاصة عند اقتحام السفارة الإسرائيلية، واتجاه البلاد إلى استحقاقات انتخابية في خريف 2011، وقد قدم حادث السفارة زاداً جديداً للتفاوض بأن "إسرائيل" في مصر قد اختفت إلى الأبد، خاصة بعد تقديم نظام مبارك للمحاكمات، ورفض الناس تأجير مقار لإيواء سفارة "إسرائيل"، ورحيل السفير بليل خوفاً من بطش العامة. بل إن جهود المصالحة قد تمّ إحيائها والتزمت مصر هذه المرة جانب الحياد والموضوعية، وتركت للفلسطينيين أن يقرروا لأنفسهم شكل التعاون فيما بينهم.

## ثالثاً: فترة حكم الإخوان:

كان واضحاً أن دخول الإخوان إلى انتخابات الرئاسة جرس إنذار حرك جميع الفصائل والقوى التي اصطفت جميعاً لمناهضتهم، ولم يفرق المصطفون بين شركاء الثورة، بل دخل نظام مبارك بديلاً عن الإخوان في صفوف الثوار الجدد. وفي الوقت الذي كانت الانتخابات الرئاسية تتقدم، كانت مكاسب الإخوان يتم التهامها عن طريق القضاء، فتمّ إبطال مجلس الشعب، وإبطال قانون العزل السياسي، ودعم ترشيح الفريق أحمد شفيق، وهكذا دخل المرشح الإخواني إلى القصر والتريص به قد بلغ أعلى درجات الاستعداد للانقضاض، الذي غذاه أخطاء استراتيجية للإخوان، وأخطاء قاتلة أخرى كانت زاداً لإعلام مبارك الذي تلون، ولم يتغير حتى انتهى الأمر بسقوطهم وإسقاطهم، بل والتصميم على اقتلاعهم، ودخلت البلاد في حلقة مفرغه بين مخطط الاستئصال، وغريزة المقاومة، والدفاع عن "الشرعية"، وبينهما تغرق البلاد في الفوضى وعدم الاستقرار.

وبالنسبة للقضية الفلسطينية، ارتفعت التوقعات بأن وصول الإخوان إلى السلطة قد قرب يوم العودة والتحرير وإنقاذ القدس، وهو رسالة إلهية للفلسطينيين، وبدأت الأطراف الفلسطينية والخارجية ترتب مواقفها وتحاول تعديل الكفة.

ولم أكن أشك في أن تعاطف الإخوان مع القضية له جذور تاريخية، لكنه اكتسب بعداً جديداً بالعلاقة مع حماس، ولكن لم أشك أيضاً في أن هذه العلاقة الجديدة محكومة بسقف لن يتعداه الإخوان في السلطة، بل إنهم وحدهم المؤهلون سياسياً لإبرام اتفاق نوفمبر 2012 بين "إسرائيل" وحماس بهدنة، وبالرغم من رضا "إسرائيل" وواشنطن إلا أن الاستراتيجية الإسرائيلية الثابتة نظرت إلى الإخوان على أنهم جزء من منظومة قد تنتشر في العالم العربي، وتعطي الصراع بعداً دينياً رداً على إلحاح "إسرائيل" على يهودية الدولة، فتعاونت مع عناصر الدولة العميقة في مصر، بحيث كفل هذا التعاون المفترض اتفاق المصلحة في إزاحة الإخوان الذين كان لهم دور فيما تطورت إليه أحوال سوريا بسبب غياب البعد السياسي في حساباتهم، بل امتدت الإزاحة إلى حماس والتضييق عليها وشيطنتهم في المدرك الشعبي المصري الذي كان أكبر داعم لها في مصر.

كما تكفلت الأزمة السورية، والدعوة السلفية باستعداد العامة على الشيعة وعلى حزب الله، بعد أن كان نصر الله بطلاً شعبياً يرحح حاكم مصر الحليف لـ"إسرائيل"، وأسست لصراع طائفي يمتد في المشرق العربي من العراق إلى مصر وليبيا وتونس.

#### رابعاً: من 30 يونيو حتى الآن وآفاق المستقبل:

كانت 30 يونيو ثورة على الإخوان ولكنها بتداعياتها وتعامل الأطراف فيها قد تركت أثارا كبيرة كلها سلبية على الموقف من الفلسطينيين، خاصة مع الترويج للكثير من الاتهامات لحماس، وخصوصاً علاقتها بما يحدث في سيناء، ولا شك أن بعض العناصر تتمنى أن يقوم الجيش بالصدام مع حماس، وأن تضرب حماس بيد مصر بما يُسعد "إسرائيل"، وهو مناخ يسهل اعتداءات "إسرائيل" على غزة.

ومن الواضح أن دولة 1952 التي كرست الاستبداد عوضته بدعمها للمد القومي، ودعم القضايا العربية، ورعاية المقاومة الفلسطينية، وتقاربت دون أن تتحالف مع موسكو، وجعلت العرب جميعاً كتلة في الصراع مع "إسرائيل"، فاجتمعوا جميعاً على أن قضية فلسطين هي الجامع لهم، مهما فرقتهم القضايا الأخرى.

ثم جاءت دولة السادات فتكررت لهذا كله واختارت توظيف التيارات الدينية التي اغتالته، كما كرست للهيمنة الإسرائيلية والأمريكية على مصر، والتخلي عن القضية على الأقل استراتيجياً، فجمع بين الاستبداد المطرز بإطار ديموقراطي مزيف، ودفع مصر إلى أحضان واشنطن، بحجة المصلحة الوطنية، وتخلي عن القضية وانحاز لـ"إسرائيل" بحجة الواقعية، فجمع بين الاستبداد، ورفض العروبة وبيع القضية، بالرغم من أن دعاية النظام المدوية في عواطف العامة، وأنصاف المثقفين كانت على العكس من ذلك، وتخلي عن العدالة الاجتماعية والسياسات الناصرية.

أما دولة مبارك فقد كرست الفساد وكلّ خطوط سياسة السادات، وبالع في تحالفه مع "إسرائيل"، وكرس دولة كاملة جمعت بين استبداد دولة يوليو، وفساد انفتاح السادات، وتكريس التخلي عن العدالة الاجتماعية، وبناء الدولة البوليسية، مع إطار ديموقراطي لا يتجاوز شاشات الإعلان.

ثورة يونيو على الإخوان جمعت خليطاً من المصريين غداهم الإعلام، وخطة الشيطنة الإعلامية التي امتدت إلى حماس، وقد حاولنا وما نزال نحثّ الناس على أن يميزوا في شأن حماس بين كونها منظمة فلسطينية تقاوم "إسرائيل" وتمارس السياسة في محيطها الفلسطيني، وبين كونها تنتمي إلى عقيدة الإخوان، ولكن مثل هذه التنبيهات تضيع في الضجيج الإعلامي المناهض.

#### خامساً: مستقبل علاقة مصر بفلسطين سنة 2014:

علاقة مصر بفلسطين منذ يوليو 2013 تتسم بالتوتر مع حماس وتدمير الأنفاق، وفتح المعبر لفترات قصيرة، بالتزامن مع مواجهة الجيش لأعمال "الإرهاب" في سيناء، وامتدت هذه المواجهة إلى عموم البلاد ضد "إرهاب الإخوان".

على الجانب الآخر، اضطر "الإرهاب" في سيناء الجيش إلى التعاون مع "إسرائيل"، وفتح هذا المناخ الباب للسلطة، وأنشطتها المعادية لحماس ولإيران، ومن ثم يمكن تلخيص شكل العلاقة المحتمل خلال سنة 2014 على النحو التالي:

أ. مع حماس، يستمر التوتر، وعدم إدانة اعتداءات "إسرائيل" على غزة، واستمرار الشيطنة الإعلامية لحماس في مصر، وارتباط ذلك بالمواجهة مع الإخوان، وهي مواجهة سوف تستمر، وتزداد بعد إقرار الدستور الجديد، وبشكل أعنف، لأن النظام يعدّ أن إقرار الدستور رخصة وشرعية لكل ما حدث منذ يونيو 2013.

ب. مع "إسرائيل" سوف يتعمق التعاون، وما دام لـ"إسرائيل" يد في تأجيج الإرهاب في سيناء، فسوف يستمر الوضع بما يحمله من ضغوط على غزة. في ظل هذا الموقف تنفذ "إسرائيل" برامجها المعلقة، وهي استمرار مخطط القضاء على المقاومة، وتهويد الدولة، ودفع السلطة للاعتراف بها، والتوصل إلى تفاهات معها تقدم شيئاً للإدارة الأمريكية، وتستجيب لقدرات "إسرائيل"، ولكن التسوية الرسمية قد تبدو صعبة في هذا العام.

إن موقف مصر حاسم في مصير القضية، وأظن أن سنة 2014 هي سنة مثالية لـ"إسرائيل" من زاوية الموقف المصري، وانشغال مصر بتعقيدات وضعها الداخلي.

أما موقف الشعب المصري من القضية، فإن استمرار أزمة الإخوان سوف يؤثر سلباً على صورة حماس وعلاقة مصر بها، وكذلك تزايد الوقيعة بين السلطة وحماس، وربما على صورة الفلسطينيين عموماً لدى طائفة من النخب المرتبطة بالطبقة الحاكمة الجديدة المحتملة.

ج. مع السلطة، يستمر التقارب بين النظام في مصر والسلطة، والباب مفتوح في مصر لأنصار السلطة وحتى أعدائها، ما داموا ضدّ الإخوان وحماس، وسوف يمضي وقت طويل قبل أن تستعيد القضية زخمها في الشارع المصري، وذلك من الآثار المرّة لتعثر الإخوان.

الصراع في مصر بين النظام الجديد منذ 3 يوليو وقدرته على استيعاب قطاعات الشعب في الترتيبات الانتقالية الجديدة، وبين الإخوان، والرافضين لتدخل الجيش، واتساع نطاق المعارضة بالرغم من قمع

السلطة والاستعانة بالدستور والقانون في مهمة اقتلاع الإخوان واحتدام الصراع بين الإخوان والتيارات الأخرى، وبين حزب النور، فضلاً عن موقف المجتمع الدولي من أطراف الصراع ووسائله، ومدى قدرة الاقتصاد على الصمود أمام هذا الصراع الضاري، كل ذلك سوف يحدد موقف مصر من القضية، ولكن على العموم، وبالرغم من عدم وضوح شكل النهاية لهذا الصراع، فإن مصر خلال سنة 2014 لن يتسنى لها أن تسهم بأي شكل في تسوية للقضية أو المصالحة، وسوف تظل صورة حماس في الإعلام مرتبطة بالإخوان، وكلما نجح برنامج اقتلاعهم وحرمانهم من الحياة السياسية، أثر ذلك على حماس سلباً، وعلى السلطة إيجاباً، كما سيظل موقف "إسرائيل" من معادلات الصراع داخل مصر عنصراً مهماً في شكل تطور الأحداث فيها.

إن الارتباط الاستراتيجي بين مصر وفلسطين يجعل شكل الحكم والصراع على السلطة في القاهرة عاملاً حاسماً في تحديد خيارات الحكم في فلسطين. إذا نجح النظام الحالي في مصر، وتسلم وزير الدفاع السلطة واستقر على هذا النحو، فإن ذلك يعني مزيداً من التوتر مع حماس، خاصة إذا استمر الجيش في مكافحة إرهاب سيناء، ومزيداً من التعاون مع "إسرائيل" ومزيداً من الحرية لأعداء حماس في مصر، والمهم أن تلتزم حماس البعد عن الساحة المصرية، واستمرار التركيز على متطلبات العمل الفلسطيني.